عالم السحر (2) خطبة



أحمد الجوهري عبد الجواد

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 19/10/2015 ميلادي - 4/1/1437 هجري

الزيارات: 14781

عالم السحر (2)

خطبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فيا أيها الإخوة،

تحدثنا في اللقاء السابق عن السحر وخطره وحكم الشرع فيه وعن إتيان السحرة وحرمته سواء كان ذلك تصديقاً لهم أو حب استطلاع وقد طرحنا في اللقاء الماضي سؤالاً ضاق الوقت عن الجواب عنه ألا وهو: كيف نحمي أنفسنا من السحر قبل وقوعه؟ وكيف نعالجه لو وقع؟ واليوم بمشيئة الله تعالى نجيب عن هذا السؤال، فأعيروني القلوب والأسماع - أيها الإخوة -، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أيها الإخوة! إن الذي يقدر الخير والشر هو الله والذي ينزل الإيمان والكفر والطاعة والمعصية وكل شيء هو الله -سبحانه وتعالى- كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ذات ليلة فقال: "سبحان الله! ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة"[1] فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى هو الذي أنزل الفتن على الخلق.

لكن من حسن الأدب في الحديث عن الله - عز وجل - أن لا ينسب الشر إليه كما حكى القرآن ذلك في أكثر من موضع عن خيرة الخلق من الأنبياء والصالحين قال الله - عز وجل - عن نبيه الخضر عليه السلام في تفسير الثلاث التي حدثت في رحلته مع موسى عليه السلام: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 79 - 82].

فهذه ثلاث، قال الخضر في الأولى وهو خرق السفينة فأردت أن أعيبها فلما كان ظاهره الشر نسب الفعل إلى نفسه فقال فاردت لكنه لما تكلم عن الخير لليتيمين في هدم الجدار وبنائه قال فأراد ربك أن يبلغا.

وهكذا نسب الشر إلى نفسه ونسب الخير إلى ربه كما حكى القرآن ذلك أيضاً على ألسنة الجن الذين أنصتوا للقرآن فأسلموا وآمنوا فتساءلوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: 10].

ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه: "والشر ليس إليك"[2] وهكذا - أيها الإخوة - فالله - عز وجل - هو خالق الخير والشر على الحقيقة وهو منزلهما ومن هذا الباب أنزل الله - عز وجل - السحر إلى الأرض كما أنزل المعاصي والشرور والكفر والفجور وله في خلقه - عز وجل - الحكمة وله في خلقه شئون وأمور.

قال عز من قائل: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ [البقرة: 102] "فالنص القرآني هنا صريح في أن الله - عز وجل - أنزل السحر على الملكين ببابل فتنة واختباراً وابتلاءً ولله أن يختبر عباده بما شاء وقد خلق الحق جل جلاله إبليس الذي هو أصل كل الشرور، ونهى العباد عن متابعته وحذر منه، واختبر الحق جيش طالوت بعدم الشرب من النهر.

فإذا سأل سائل ما هي الحكمة التي في تعليم الملكين السحر للناس فنقول: كفى أولاً بورود النص على أنه فعله سبحانه فثم كل حكمة، لأنه من الحكيم جل جلاله الذي شأن عمله كله الحكمة.

ونقول ثانياً: لعل الحكمة من وراء هذا الاختبار والله أعلم تنبيه الناس في ذلك الزمان إلى أن السحر ليس بالشيء العظيم الذي لا يناله إلا الخاصة وأصحاب العقول كما كان كثير من الناس يظن ذلك فأقام الله - عز وجل - الملكين يعلمان الناس السحر ويقولان لهم كل واحد يستطيع أن يكون ساحراً ولكننا نحذركم من السحر، فإن السحر كفر يجلب غضب الله، وهذا أخف حالا بلاشك من أن يعتقد الناس في هؤلاء أنهم آلهة أو أرباب جهلًا منهم بحالهم وحقيقتهم، فجاءت الحكمة في أن يعرفوا الناس حقيقة أمرهم وأنهم ليسوا كذلك وإنما هم يقومون بهذه الأشياء عن طريق السحر والاتفاق مع الشياطين، وليعلم - أيها الإخوة - مع ذلك أن الملكين ليسا بعاصيين في حال تعليمهما الناس السحر بل هما مطيعان لله، لأنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختباراً من الله لعباده[3].

قال العلامة الألوسي: وهذان الملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلم وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن قوم طالوت بالنهر[4].

وأنبه - أيها الإخوة - إلى أمر خطير وهو أن الأخبار التي وردت في هذا السياق من قصص وحكايات والتى تفيد عصيان الملكين، أو أنهما افتتنا بامرأة جميلة، أو أن نزولهما أصلاً إلى الأرض كان بسبب الاعتراض علي خلق آدم فهذا كله من كذب اليهود على ملائكة الله ورسله وقد نقل ذلك العلماء وسطروه في كتبهم وعرفوا بكذبه وحذروا منه أيضاً، لكن كثيراً ممن في قلوبهم مرض يحكون هذه الروايات على الرغم من علمهم بكذبها لهوى في نفوسهم أو جهلًا منهم وأحلاهما مر علقم، فلم يذكر من ذلك حرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً وإنما هو كله افتراء وهراء.

وأيضاً - أيها الإخوة - لا يتفلسف متفلسف ويقول: أنا أتعلم السحر اقتداء بالملكين فإنه لا يجوز لك ذلك بل هو حرام عليك، نعم كان حلالاً للملكين لأنهما كان لهما فيه إذن من الله تعالى، وأما بقية العباد فأدلة القرآن والسنة قائمة ودالة على نهي الله ورسوله عن تعلم السحر وتعليمه والعمل به كما أوضحت ذلك لحضراتكم في اللقاء السابق بحمد الله تعالى وفضله العظيم.

ويبقى بعد هذا التأصيل المهم - أيها الإخوة - أن أجيب عن السؤال الذي طرحناه في اللقاء السابق ألا وهو: كيف نحمي أنفسنا من السحر والسحرة وشرورهم قبل وقوعها بنا وكيف نعالجها بعد وقوعها؟ وهل سحر النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف وهو رسول الله؟ وكيف انجلى عنه صلى الله عليه وسلم هذا السحر؟ وأرى الآذان والعيون تتلهف لسماع الجواب عن السؤال الثاني قبل الأول وأنا أوافق على هذا الشوق

وأؤيده فإن هذا الموضوع مما خاضت فيه ألسنة كثيرة بالباطل وأقلام أكثر بالزيف والهراء، فما حقيقة هذا الأمر، فلنبدأ به، خاصة أنه يأخذ بنا إلى وسيلة الحماية من السحر ويدلنا على طريقة العلاج منه إن وقع بنا.

فأعيروني القلوب والأسماع - أيها الإخوة -، وأنا أعاهد الله أمام حضراتكم ألا أتكلم الآن إلا بآية من القرآن أو حديث من السنة أو قول لواحد من سلف الأمة.

- أيها الإخوة - هل سحر النبي صلى الله عليه وسلم فعلاً وحقاً؟ والجواب بآية من كتاب الله وبحديث صحيح عن الصادق صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ أيها الإخوة هاتان السورتان هما اللتان قال فيهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" و" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ".

وقد أجمع العلماء على أن هاتين السورتين نزلتا لما سحر النبي صلى الله عليه وسلم، نزل بهما جبريل فرقاه، والحديث رواه البيهقي في الدلائل وفيه: "فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الكرية وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ "، " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ "[5]

وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحًا.[6]

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والنسائي والبيهقي وغيرهم من عدة طرق عن عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أسوق لفظ أقرب وأحب الناس إلى قلب المصطفى وأعرف الناس به وبما يحدث له إنها الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها وقد ذكر هذه الرواية البخاري في كتاب الطب عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِى لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ "يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ. قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ فِي أَىِّ شَىْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ". فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ "يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ". قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَسْتَخْرِجُهُ قَالَ "قَدْ عَافَانِى اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا". فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.[7]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فحلّها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط. [8] والحديث أخرجه النسائي بسند صحيح.

وللأسف - أيها الإخوة - فقد رد كثير ممن ينسبون إلى العلم هذا الحديث الصحيح وتبعهم في ذلك من يقدمون عقولهم على صحيح السنة ويردون النصوص لأنها لا توافق عقولهم ولعمر الله أي عقل ذلك الذي يرد كلام ووحي من خلق الخلق فإن السنة وحي وليست العقول وحدها الميزان لمعرفة الصحيح من السقيم فإن العقول تستحسن القبيح وتستقبح الحسن بمجرد الهوى ورضي الله عن علي بن أبي طالب الذي قال: لو كان الدين بالرأي لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه، ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلى الخف. [9]

ولكن كيف انجلى السحرعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيها الإخوة؟ رأينا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم حينما شعر بالأعراض في جسمه كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء وهذه هي أولى خطوات العلاج لمن ابتلى بالسحر وهو اللجوء إلى الله - عز وجل - ثم بعد

ذلك أطلع الله نبيه على السحر وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم من يستخرج السحر من مكانه وحله.

وهذا أوان الإجابة على السؤال الخطير في هذه النقطة ألا وهو كيف سحر النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله؟ فالجواب - أيها الإخوة - أنه صلى الله عليه وسلم بشر كبقية البشر تعتريه الأمراض وهذا منها والسحر ما أثر على رسالته ولا على تبليغها بل أثَّر علي حياته الزوجية نوعًا ما فكان يخيل إليه أنه أتى الشئ ولم يأته، وما علم به إلا أقرب الناس إليه وأخصهم عائشة زوجته - رضي الله عنها- كما هو في الصحيحين.

قال القاضي عياض: "السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم ".[10]

وقال القرطبي: الأنبياء من البشر فيجوز عليهم من الأمراض والآلام والغضب والضجر والسحر والعين وغير ذلك ما يجوز على البشر لكنهم معصومون عما يناقض دلالة المعجزة من معرفة الله تعالى والصدق والعصمة عن الغلط في التبليغ".[11]

والخلاصة مما مر كله أن السحر ابتلاء من الله لعباده ليبلو الله المؤمن الصادق من الكاذب ويختبر عباده به فمن ثبت فله الرضا من الله تعالى والثبات وحسن العاقبة ورفع الدرجات وزيادة الحسنات، ومن هذا الباب ابتلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لرفعة درجته مع أن الله تعالى صان نبيه في جانب الوحي والرسالة.

والآن - أيها الإخوة - نأتي إلى السؤال الثاني والعملي في الموضوع كله ألا وهو كيف نتقي السحر وشره قبل وقوعه؟ و ما هو علاج السحر.

والجواب - أيها الإخوة - في نقاط:

فأول الطريق بل وأوسطه وآخره: هو الاستعانة بالله تعالى: فنحن ولله الحمد موحدون نعلم أن التوكل على الله تعالى أعظم الأسباب للنجاة من كل شيء فأول خطوة على طريق العلاج هي تحقيق التوحيد نعم.

أولاً: تحقيق التوحيد لله العزيز الحميد وإخلاص العبودية لله -جل وعلا- والتوكل عليه - تبارك وتعالى - فقلب الموحد قد أشرق فيه مصباح التوحيد وأزهر فيه نور الإيمان ومن ثم خرج منه الخوف من كل أحد إلا من الله - جل وعلا - بل لا يفرد بالمحبة والخوف إلا الله صاحب هذا القلب كما يقول ابن تيمية في جنة وهو في الدنيا قبل الآخرة.

إن قوة الإيمان في القلب تضعف الشيطان وكلما زاد إيمان العبد وأخلص العبادة لله ضعف تسلط الشيطان عليه فها هو فاروق الأمة عمر - رضي الله عنه كان الشيطان يهرب منه كما جاء في البخاري ومسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال استأذن عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه – وفي رواية: يسألنه ويستكثرنه – عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل عمر والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك.. فقال عمر: أضحك الله سنك، بأبي أنت وأمي يعنى ما أضحكك؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب.

قال عمر: فأنت يا رسول الله الأحق أن يهبن، ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن النبي صلى الله عليه وسلم؟

قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجك".[12]

والفج: المسلك والطريق، فالشيطان يهرب ويفر حتى من الطريق الذي يسير فيه عمر هرباً من قوة إيمانه رضي الله عنه.

وساق ابن الجوزي في كتابه القيم تلبيس إبليس قصة تبين ما نقول بوضوح.

قال: كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه إبليس في صورة إنسان.. فقال: ما تريد؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله.

قال: ما ضرك إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟

قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك!! لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك.

قال: فمن أين لي ذلك؟ قال أنا لك.

فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً، فقام غضباً ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته وقال: ما تريد؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى.. قال: كذبت ما لك إلى ذلك سبيل.

فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله.. قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك!!

فتدبر يا عبد الله!! قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: 99، 100].

فإن الشيطان لا سلطان له عليهم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: 42].

ولله در ابن القيم اذ يقول: والله ما عدا عليك العدو الا لما تخلى عنك المولى فلا تحسبن العدو غلب ولكن المولى تخلى ونحن نعلم - أيها الإخوة - أن الأمر كله لله وأن الملك كله لله وأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بعلمه جل في علاه. قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 59].

لا تستطيع قوة على ظهر هذه الأرض أن تضر ولا تنفع إلا بإذن الله -جل وعلا- والأصل في كل هذا قول الله تعالى والنص يزيد في يقين القلوب المطمئنة، ويطمئن النفوس الحائرة القلقة. قال الله تعالى: "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله".

الله أكبر.. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولو اجتمع سحرة أهل الأرض لا يستطيعون أن يؤثروا بسحرهم في مخلوق إلا بإذن الله.

فوجه أخي الحبيب قلبك إلى ملك الملوك وجبار السموات والأرض وتوكل عليه وثق به فهو المرتجى وهو الملجأ والملاذ ولا حول ولا قوة إلا به.. من توكل عليه كفاه ومن اعتصم به نجاه ومن فوض إليه الأمر هداه. قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده". وقال تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه".

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيأسن فإن الفارج الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الفارج الله

إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كلٍّ، لك الله

ومن أجمل ما قاله الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه القيم "تلبيس إبليس"، قال: حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال التلميذ: أجاهده قال الشيخ: فإن عاد؟ قال: أجاهده قال الشيخ: فإن عاد فقال: أجاهده، فقال الشيخ هذا يطول يا بني ولكن إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور فماذا تصنع؟ قال: أجاهده قال: يا بني هذا أمر يطول، استعن برب الغنم يكفك كلابه.

فمِنْ أيْنَ - إنْ لم يَرْأبِ الله - تُرْأَبُ

فاستعن بالله أيها الحبيب والجأ إليه فهذا هو الحصن الحصين والملاذ المكين ولما كان الله هو خالقنا فتحصن به فهو الذي يعلم ضعفنا وعجزنا فقد تفضل علينا بحصون وحروز ولكننا كثيراً ما نغفل عن الدواء إلا إذا حل بنا الداء فهيا إلى الحصن الثاني الا وهو ذكر الله ونلتقى به بعد جلسة الاستراحة هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأغنى وأقنى، وجعلنا من خير أمة تأمر وتنهى، والصلاة والسلام على خير الورى، وما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد، فيا - أيها الإخوة -!

الحصن الثاني هو: كثرة ذكر الله - عز وجل -.

فالذكر يضعف الشيطان ويقوي الإيمان ويرضي الرحمن وهو الركن الركين والحصن الحصين الذي يتحصن به الإنسان من الشيطان الرجيم وفي حديث الحارث الأشعري الطويل وهو حديث أخرجه الترمذي بسند صحيح وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله - عز وجل -". [13]

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت". [14]

ثالثاً: قراءة سورة البقرة..

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة. [15]

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم: "اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ". قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلاَّمٍ بَلَغَنِى أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. [16]

رابعاً: قراءة آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك روى البخاري عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- قَالَ وَكَّلَنِى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِى آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -. قَالَ إِنِّى مُحْتَاجٌ، وَعَلَىَّ عِيَالٌ، وَلِى حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم -" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ". قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ". فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِنَّهُ سَيَعُودُ. فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -. قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ". قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ". فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا. قُلْتُ مَا هُوَ؟ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِ (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -" مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ". قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ، يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ "مَا هِيَ". قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)وَقَالَ لِى لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ. فَقَالَ النَّبِي - صلى الله عليه وسلم -" أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ". قَالَ لاَ. قَالَ "ذَاكَ شَيْطَانٌ". [17]

خامساً: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة قوله تعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه " إلى آخر السورة.. ففي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"[18] أي من كل شر وسوء ومن الشياطين.

سادساً: قراءة المعوذات..

ففي البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. [19]

وعن عبد الله بن خُبَيْبٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُصَلِّي لَنَا - قَالَ - فَأَدْرَكْتُهُ فَقَالَ "قُلْ". فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ "قُلْ". فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قَالَ "قُلْ". قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ "قُلْ (هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِى وَتُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ". وفي رواية قال: "ما تعوذ الناس بأفضل منها. [20]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينما أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته في غزوة إذ قال: "يَا عُقْبَةُ قُلْ". فَاسْتَمَعْتُ ثُمَّ قَالَ "يَا عُقْبَةُ قُلْ". فَاسْتَمَعْتُ فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ فَقَالَ "(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)». فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَرَأَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَرَأَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ "مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ".[21]

سابعاً: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"[22].

ثامناً وأخيراً: روى البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" وفي رواية: "من تمر العالية"[23] وهي في المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلوات و أتم التسليم.

هذه هي - أيها الإخوة - الحصون والحروز التي يتصف بها الإنسان السحر والمس والربط فما هو علاج من سحر فعلاً؟ والجواب يفعل هذه الأشياء.

أولاً: لابد أن يحافظ ابتداء على هذه الأذكار التي ذكرناها آنفاً.

ثانياً: حل السحر من المسحور بالرقى الشرعية كما قال ابن القيم - رحمه الله - وكما قال العلامة ابن باز يصف ذلك بقوله: ومن علاج السحر بعد وقوعه وهو علاج نافع بإذن الله - عز وجل - للرجل إذا حبس عن جماع أهله وغير ذلك من أنواع الربط قال الشيخ: أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر ويدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ عليها آية الكرسي والكافرون والإخلاص والفلق والناس وأن يقرأ آيات السحر في الأعراف: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 117، 118] والآيات التي في سورة يونس ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: 79 - 82] والآيات في سورة طه: "﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: 65 - 70].

يقول الشيخ -رحمه الله تعالى- وأجزل مثوبته: بعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب منه ثلاث مرات ويغتسل، بالباقي وإن دعت الحاجة إلى استعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول مرضه وسحره عنه إن شاء الله تعالى.[24]

فمن سحر أو مس - أيها الإخوة - وجب عليه الصبر مع طلب الدواء عند من له خبرة بهذا وهو حلال بالنسبة له طالما كان ذلك عن يقين من سلامة معتقد الراقي والمرقي وهذه هي النشرة التي ورد بها الشرع بخلاف النشرة البدعية الجهنمية التي فيها استعانة بالشياطين فالنشرة على التحقيق نوعان نشرة جاهلية وهي التي من عمل الشيطان ويدل عليها ما روى أحمد من حديث جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال: "هي من عمل الشيطان". [25]

وقال أبو داود: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله، وقال الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، أي من حله فهو كذلك.

والنوع الثاني نشرة شرعية وهي الرقى التي ذكرناها في لقائنا هذا وهذا النوع هو الذي قال فيه سعيد بن المسيب فيما روى البخاري عنه أنه سئل: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس.

قال ابن القيم - رحمه الله -: "والنشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز. [26]

أيها الإخوة!

ويستطيع الإنسان أن يرقي نفسه أو يرقيه غيره بغير قصر للرقية على شخص معين يظن أن له خصوصية وأن معه عهداً من فلان ونحو هذا فهذا من الضلال، إذ الرقية دعاء والتجاء إلى الله والله يجيب من دعاه كما قال سبحانه: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "، وكما قال عز من قائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186] هذا - أيها الإخوة - علاج السحر وطريق الوقاية من السحرة وشرورهم نسأل الله أن يقينا شرورهم إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير....... الدعاء.

[1] أخرجه البخاري 115.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه (771).

[3] عالم السحر والشعوذة للأشقر ص245.

[4] روح المعاني للآلوسي (1/340).

[5] انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص 220)، وقال عقبه: لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما.

[6] انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص 220).

[7] أخرجه البخاري (5863، 6391، 5766).

[8] أخرجه أحمد (4/367) والنسائي (7/112)، وصححه الألباني هناك.

[9] أخرجه أبو داود (162)، والدارقطني (73) والبيهقي (1 / 29 2)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (153).

[10] الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء (1 / 181) العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 هـ، بحاشية: العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى 873.

[11] المفهم 5/ 570.

[12] أخرجه البخاري (3294) وأخرجه مسلم (1396).

[13] أخرجه الترمذي (2863)، وصححه الألباني في المشكاة (3694)، وصحيح الجامع (1724).

[14] أخرجه البخاري 6407، ومسلم 1859.

[15] أخرجه مسلم (780).

[16] أخرجه مسلم (1910).

[17] أخرجه البخاري (2311، 3275).

[18] أخرجه البخاري (5040).

[19] أخرجه البخاري (5017).

[20] أخرجه أبوداود 5082 والترمذي (3828)، وصححه الألباني في التعليق الرغيب (1 / 224).

[21] أخرجه النسائي (5430)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (1315).

[22] أخرجه البخاري 3293، ومسلم 2691.

[23] أخرجه البخاري 5445، ومسلم 5460.

[24] خطب الشيخ محمد حسان (2/ 211، وما بعدها)، بتصرف، دار ابن رجب ط الأولى، 1426، 2005.

[25] أخرجه أحمد 3 / 294، وأبو داود (3868)، وحسنه الحافظ في "الفتح" 1 / 233، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة"6 / 611.

[26] إعلام الموقعين - (4 / 396).